حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السابع . شوال ١٤٣٨هـ / تموز ٢٠١٧م

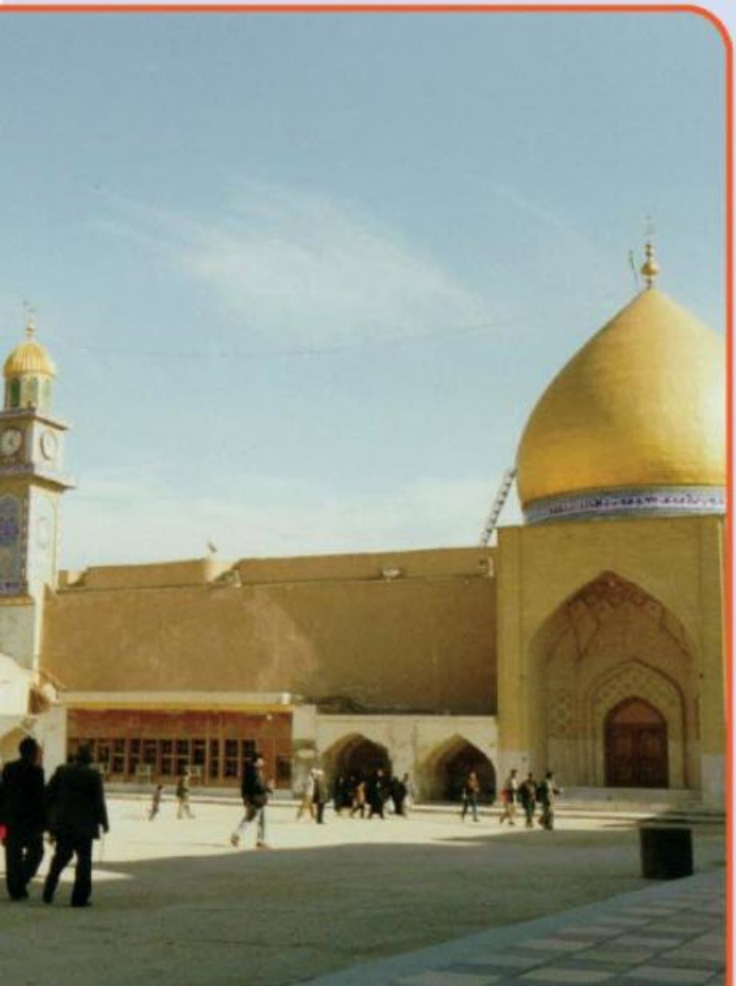

٧

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مسجد الكوفة ودوره المشرق في الحضارة الإسلامية

الأستاذ المساعد الدكتور عاطي عبيات

جمهورية إيران الإسلامية - الأهواز

الملخص

العراق مهد الحضارة الإنسانية في تاريخه البعيد. قامت على ربوعه أقدم المنشآت الحضارية وحفل تاريخه بأروع الصفحات، وساهم مساهمة كبيرة في بناء التاريخ البشري والحضارة الإسلامية. ومن أهم المنجزات الحضارية التي بنيت على ربوعه هي المساجد. فاحتل المسجد في الإسلام مساحة كبيرة من القداسة والعظمة وذلك لما للمسجد من أهمية ودور كبير في المجتمع الإسلامي. فالمسجد منذ نشأته وتأسيسه في المجتمع الإسلامي أدى أدواراً عظيمة الشأن بالغة التأثير في الحضارة الإسلامية. فكان طوال تاريخه قاعدة معنوية واجتماعية تقوم بوظائف عدّة تهدف إلى تنمية المجتمع وترشيده. فهذا البيت المقدس (بيت الله) فضلاً عن الدور العبادي والروحي، راح يؤدي واجبات ووظائف خطيرة وجلية فأصبح مؤسسة ثقافية وتعليمية واجتماعية وسياسية وعسكرية وتربوية أخذ على عاتقه معالجة قضايا الأمة الإسلامية وشؤون المسلمين في جميع العصور. وقد ساهم بشكل لافت في الذّود عن حياض الأمة والدفاع عن الدين ومكتساباته وكانت جموع المسلمين تتخذه لحركاتها التحررية. فصار كما يقال هو النادي والمدرسة والمكتبة والصيدلية والمستوصف والإذاعة والمحكمة والملجأ الآمن والحصن المنيع... الخ. ومن بين هذه المساجد الذي ساهم عبر التاريخ الإسلامي بشكل كبير في تعزيز وازدهار الحضارة الإسلامية هو مسجد الكوفة. المسجد الذي كان منطلقا لنشر الرسالة المحمدية ونشر الثقافة العلوية أي فكر أهل البيت (عليهم السلام). فأصبح مسجد الكوفة منذ تولى أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) جامعة حضارية ومؤسسة ثقافية وتربوية تهدف إلى تربية الأجيال والنهوض بالفرد والمجتمع وفق نهج مكتب أهل البيت (عليهم السلام) والعمل على نشر الدعوة الإسلامية وتعزيز مكانة الدين الإسلامي والحفاظ على الهوية الإسلامية بكل السبل والإمكانات المتاحة.

يعد هذا البحث من البحوث الوصفيه التحليلية، التي تركز على عملية جمع الحقائق والبيانات عن موضوع البحث ومن ثم تحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة.

وتأتي أهمية البحث كون مسجد الكوفة يعتبر المسجد الرابع في الإسلام والثاني من حيث الثقل الديني والتاريخي فأدى أدوراً مهمة في التاريخ والحضارة الإسلامية على الصعيد الديني والثقافي والعلمي والسياسي والعسكري والتربوي... لذا فقد تم توظيف المنهج التاريخي لدراسة البحث من اجل الوصول إلى دراسة واسعة وشاملة عن البعد التاريخي لدور مسجد الكوفة في الحضارة الإسلامية. ومن ثم التعريف بمكانه مسجد الكوفة وتبيين أدواره الحضارية وبيان تلك الأدوار وتأثيرها في نشر المعرفة الإسلامية الأصيلة وبث معارف أهل البيت (عليهم السلام) القيمة. فالبحث ينطوي على قسمين ففي القسم الأول عالجنا البعد الحضاري لهذا المسجد وفي القسم الثاني تطرقنا إلى الحقل التاريخي لهذا الصرح العظيم.

الكلمات الدليلية: المسجد، مسجد الكوفة، مكانته الحضارية، الدين الإسلامي، الأدوار الحضارية.

المقدمة

إن أول عمل قام به الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة هو بناء المسجد، في قباء ثم المسجد النبوي الشريف، ولعل في ذلك إشارة واضحة لأهمية وجود المسجد في

المجتمع الإسلامي الناشئ... من هنا تأتي مكانة المسجد في الإسلام. إن حضارة الإسلام التي أقامها لا تقوم إلا على المسجد، ولا تصلح إلا بالمسجد، ولا يكون لها نور إلا بالمسجد فقد انطلقت معالم الإسلام من المسجد الذي كان أول شيء فعله بعد الهجرة. يقول أحد المستشرقين " يدعى زهير": «ما زال المسلمون في قوة مادام معهم القرآن والمسجد. انّ أعظم نموذج لمهمّة المسجد في دنيا المسلمين جسدها عملياً في واقع التجربة الإسلامية: مسجد رسول الله (ﷺ) في المدينة المنوّرة، حيث كان ذلك المشروع محور الحركة، والنشاط والفعالية في حياة المسلمين. فقد كان مسجد النبيّ (ﷺ) محراب العبادة، ومنار التوحيد، كما كان دار الحكم، ومحور التوجيه الفكري، والسياسي، وتوزيع المسؤوليّات، كما كان مسجد رسول الله (ﷺ): دار العدالة، وملاذ المحتاج، وكهف المظلوم... فالمسجد يعد من أهم الدعائم التي قام عليها المجتمع الإسلامي، وركناً أساسياً في بناء المجتمع على أسس قوية وراسخة وقد اخذ المسجد دوره في تنظيم المجتمع لأهميته الوظيفية والمركزية في المجتمع (عبد الحليم محمود، ١٩٩١، ٢٧) فقد اتخذت المساجد منذ تأسيسها أماكن للعبادة ودوراً للقضاء ومقراً لتجميع الجيوش واستقبال السفراء إلى جانب كونها موائل للتعليم (الگريطي، ٢٠١٣، مجلة آداب الكوفة، ٢٧٢، نقلا عن لوبون غوستاف، حضارة العرب، ٤٢٧) فقد أصبح المسجد مركز الإشعاع الديني والقلب الروحي للمدن، فهو لا يتوسطها من الناحية العمرانية فقط ولكنه يتوسط الفكر الديني كله بوصفه قطبه الأول، ومركز الحياة الدينية والاجتماعية والثقافيه والسياسية، كما انه يكسب المدن هويتها الإسلامية في المجتمع (هند عبد الله، ٢٠٠٦، ٢) وقد زاد الاهتمام ببناء المساجد في عهد الإمام علي (عليه السلام) وما بعده، وأصبح مركزاً من مراكز الحياة العامة يجتمع فيه الناس لسماع قرارات الدولة وتحفظ فيه أموال المسلمين، ولذا كان له دور كبير في المجتمع الإسلامي ونهضته دينيا وفكريا وسياسيا. وعلى هذا الأساس وجدنا جامع الكوفة يؤدي تلك الأدوار المهمة والحيوية بحيث بعد ورود الإمام علي (عليه السلام) للكوفة تحول هذا المسجد الشريف إلى مصدر من مصادر المعرفة العلوية، والعزّة الإسلامية، والتحضّر الإنساني والنهوض في مختلف الساحات الثقافية والاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية لعدّة قرون.

١- تعريف المسجد

المسجد لغة: على وزن مفعل بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح جبهة الرجل عندما يكون في السجود، والمسجد والمسجد بفتح الجيم وكسرها المكان الذي يسجد فيه، وكلاهما جائز وان اشتهر الكسر، وهو من سجد سجودا إذا وضع جبهته على الأرض. (آبادي، ١٩٩٩، ٣٠٠) وقال الزبيدي: المسجد من سَجَدَ، خضع وسجد إذا انحنى وتطامن إلى الأرض. قال ابن سيدة: سجد يسجد سجوداً، أي وضع جبهته على الأرض. وفي لسان العرب: «.. وسجد: خضع، قال الشاعر: ترى الأُكم فيها سُجداً للحوافر. ومنه سجود الصلاة ولا خضوع اعظم منه. والأسم: السِّجدة بالكسرة-وسورة السجدة بالفتح. وكل من ذلّ وخضع لما أمر به فقد سجد، ومنه قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ» (النحل: ٤٨) أي خضّعاً مسخّرة لما سخّرت له. قال الزركشي: المسجد كل موضع يُتعبّد فيه (الزركشي، د. ت، ٢٧). وبهذا استعملها العرب في جاهليتهم ثم في إسلامهم، قال جواد علي: «وقد وردت لفظة المسجد في نصوص بني إرم. وقد وردت في النبطية والصفوية وردت على هذه الصورة وقد عنت به معبداً (جواد علي، ١٩٨٦، ج٦صص٤٠٠-٤٠١) أما حول قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)

يوجد قولان حول المراد بالمسجد في الآية المباركة:

١- أن المراد بالمساجد هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المصلي حال السجود واحتجوا على ذلك بأكثر من رواية قد فسرت الآية بذلك ومنها قضية الإمام الجواد (عليه السلام) مع المعتصم العباسي في تحديد قطع يد السارق والرواية طويلة معروفة وفي نهاية المطاف اعترف المعتصم بتحديد الإمام بقطع يد السارق التي تقطع الأصابع دون الكف واستدل الإمام بالآية المباركة ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ على هذا الحكم.

٢- أن المراد بالمساجد هي المساجد المعروفة والموقوفة والمعدودة للعبادة وهي بيوت الله وأضافها المولى سبحانه إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً وتقديساً إليها وعقب عليها بقوله ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي فلا تعبدوا مع الله أحدا فالدعاء المراد به العبادة والعبادة مختصة بالله سبحانه فلا يجوز أن يشرك في عبادة ربه أحدا لا نبي ولا وصي ولا إمام ولا ولي فيجب أن يوحد الله في عبادته توحيداً خالصاً قال تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش: ٣) وقوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣) فلا يجوز العبادة لغيره. وبالرغم من أن القول الأول مشهور ودلت عليه بعض الروايات وقال به كثير من المفسرين إلا أن الروايات غير نقية السند، فيكون القول الثاني هو الأنسب.

١-٢- المسجد في الاصطلاح

أما المسجد شرعاً فهو المكان المعد للصلوات، قال

الزركشي كل مكان يتعبد فيه فهو مسجد «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا». فالمسجد أي كل موضع من الأرض لقوله رواه مسلم، ٥٢٢)، وهذا من خصائص هذه الأمة، قال القاضي عياض: لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته) الزركشي، ١٩٨٢، (٢٧إلا انه بالنظر إلى ما اصطلح على تسميته مسجد واخذ أحكاما خاصة، فلا يبقى هذا المفهوم دقيقا، ويمكن أن يعرف المسجد بأنه بقعة من الأرض مخصصة لأداء العبادة فيه، متحررة من التملك الشخصي، وعلى هذا يكون المسجد بقعة من الأرض ليست ملكا لأحد وتؤدى فيه مهمات عادية ودعوية وتربوية وغيرها (الصغير، ١٩٩٨، ص ٦).

ومع تطوّر الزمن، واستمرار حياة المسلمين، أصبح من الطبيعي إنّ كلمة «مسجد» حين تطلق، فانّها تنصرف إلى المبنى الذي يقيم فيه المسلمون: الصلاة، وقد حدّد الشيخ محمّد حسن النجفي المصطلح الشرعي للمسجد في موسوعته الفقهية، فقال: «المراد بالمسجد شرعاً المكان الموقوف على كافّة المسلمين للصلاة» (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ٦٩/١٤). ولقد علّل بعض المؤرّخين أنّ سبب تسمية هذه المؤسّسات المقدّسة لدى المسلمين بالمساجد كان - نسبة للسجود - دون تسميتها بلفظ آخر من الألفاظ والأعمال المكوّنة لكيان الصلاة كالقراءة والذّكر، والركوع وغيرها مثلاً لأنّ السجود أشرف حالات المصلّي التي يقف بها بين يدي الله عزّ وجلّ، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ): «أقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد» (وسائل الشيعة، ٤/باب ٢٣)

٢- المسجد في الذكر الحكيم

وردت كلمة مسجد وكذلك مساجد في القرآن الكريم في ٢٨ موضعاً وذلك في الآيات التي تحدثت عن المسجد الحرام الذي بمكة المكرمة أو المسجد الأقصى المبارك الذي ببيت المقدس وغيرهما من المساجد التي استحدثت في أيام النبيّ (ﷺ).

٢-١- لفظة المسجد وردت في ثلاثة مواضع ومنها:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨)

٢-٢- وردت لفظة المسجد الحرام سبعة عشرة مرة في القرآن الكريم ومنها:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٤)

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٩)

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٠)

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩١)

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧)

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢) ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤)

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٧)

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ١٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٨)

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٥)

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧)

٢-٣- لفظة مسجداً بالتنوين وردت في مرتين:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ١٠٧)

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ (الكهف: ٢١)

٢-٤- وردت لفظة مساجد بصيغة الجمع في ستة مواضع ومنها:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٤)

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧)

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (التوبة: ١٧)

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨)

٣- مدينة الكوفة

الكوفة أول عاصمة للدولة الإسلامية بعد انتقال الخلافة الإسلامية، أو بالأحرى مقر الحكومة الإسلامية من المدينة المنورة، حيث اتخذها أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) عاصمة له، واقترن اسمها به، وحيث ظهرت الآثار الكريمة خلال ما يقارب أربع سنوات ونصف، عند تأسيس أول مدرسة إسلامية في شتى المعارف عُرفت باسمه في مسجد الكوفة و- كانت المدرسة الفقهية الكبيرة في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) وما تزال في أوجه حيويتها ونشاطها لحد الان-. ذلك المسجد لذي يعتبر رابع مساجد الإسلام والثاني من حيث الثقل التاريخي والحضاري وهو يعد من أوسع المساجد في العالم الإسلامي والكوفة التي وصفها الإمام بأنّها رمح الله، وكنز الإيمان وجمجمة العرب، لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الإسلام الطويل ذي المدنية العريقة وكان لها الفضل في مدرستها العظيمة، مدرسة أمير المؤمنين، في تخريج العلماء والمفكرين وأئمة المذاهب والمجتهدين. فهي «أول بقعة عُبد الله عليها ظهر الكوفة كما نُقل عن الإمام علي (عليه السلام)» (إرشاد القلوب، ج٢، ٢٣٨) لعبت الكوفة دورها الريادي في تحقيق الكثير من الانتصارات في جبهات القتال المتعددة وفي مراحل مختلفة من الزمن. باعتبارها مدينة الجند والمعسكر المتقدم للقوات الإسلامية المتجمعة نحو الشرق في حركة الفتح والتحرير. فضلاً عن أهميتها الثقافية والفكرية فقد برز من الكوفة ومسجدها الأعظم الكثير من الفقهاء والعلماء واللغويين والنحويين والمؤرخين وغيرهم وأسهمت إسهاماً واضحاً في تطوير وانتشار العلوم والآداب والفنون الإسلامية ووضعت في أروقة مساجدها الأسس الصحيحة لكثير من العلوم الفقهية واللغوية. فاكتسبت الكوفة مكانة مرموقة وأصبحت من أهم أمصار العالم الإسلامي وصار لها دور كبير في الأمور السياسية والفكرية والثقافية في إيام الخلفاء ولاسيّما في عهد الإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسن (عليه السلام) ومن بعده في عهد الأمويين والعباسيين.

٤- تأسيس مسجد الكوفة

إثر الفتوحات في العراق وانهزام السّاسانيين، تحوّل المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص إلى موضع الكوفة بعدما أشار عليه بعض الصّحابة (سلمان الفارسيّ وحذيفة) باختياره، وكان أفضل من المناطق التّي حاولوا الاستقرار فيها، فأمرهم عمر بن الخطّاب بتمصيرها، وبنوا فيها المسجد الجامع أي

(جامع الكوفة (فقد خطه سعد ابن أبي وقاص بحيث يتسع لأربعين الف إنسان، وهو عدد جيشه حين أسست الكوفة، وكان ابن أبي وقّاص قد استعان بأبي الهيّاج الأسديّ، أحد رواة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وعمّار بن ياسر، لتخطيط الكوفة، وكان مهندساً قديراً له باع طويل في الفنّ المعماريّ. ثمّ اختطّوا المسجد، وبنوا لسعد بيتاً وهو قصر الكوفة ودار الإمارة. وزاد المغيرة فيه (البلاذري، ٢/ ٣٤٠) ولما قدم زياد زاد فيه فأصبح يتسع لستين ألفا، وبناه بالآجر، وجاء بأساطين من الأهواز (الحموي، ٤/ ٤٩١). وتداولت الرّوايات بعظمته، فهو مهبط الملائكة، وفيه مرّ آدم وخطّ مكاناً للعبادة، وموضع صناعة سفينة نوح (عليه السلام)... الخ. وصف الشاعر والأديب المبدع" السيد إسماعيل الحميري" مسجد الكوفة واستشهد خلال ذلك بالحديث المروي عن مسجد الكوفة بأنّه كان موضعا لصنع سفينة نوح وإن هذا المسجد هو الذي فيما بعد رست فيه سفينة نوح (عليه السلام)، حيث يقول:

لعمرك ما من مسجد بعد مسجد
بمكة ظهراً أو مصلّى بيثرب
بشرق ولا غرب علمنا مكانه
من الأرض معموراً ولا متجنب
بأبين فضلاً من مصلى مبارك
بكوفان رحب ذي أواس ومخصب
مصلّى به نوح تأثل وابتنى
به ذات حيزوم وصدر محنّب
وفار به التنور ماء وعنده
له قيل يا نوح في الفلك فاركب
وباب أمير المؤمنين الذي به
ممرٌّ أمير المؤمنين المهذّب

(نقلا عن ياقوت الحموي، ٤٩٣)

٥- قدم مسجد الكوفة

مسجد الكوفة أول ما عبد الله فيه روي في البحار والوسائل: بالإسناد قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) أول بقعة عُبِدَ الله عليها ظهر الكوفة، لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا على ظهر الكوفة، وأن الملائكة لتنزل في كل ليلة إلى مسجد الكوفة (مستدرك الوسائل٤/ ٤٨٤ ح ٥٢٢) وفي البحار والوسائل والكافي: بالإسناد عن ابن أسباط قال: وحدثني غيره: أنه كان ينزل في كل ليلة ستون ألف ملك يصلون عند السابعة - في مسجد الكوفة - ثم لا يعود منة ملك إلى يوم القيامة) الكافي ٣/ ٤٩٣ ح٥ وبحار الأنوار ٤٠١/٩٧ ح ٥٥) يستفاد من الأحاديث المنسوبة إلى النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته إن مسجد الكوفة كان موجوداً قبل أن يختطه سعد بن أبي وقاص. وهو موغل في قدمه ولا يسبقه في ذلك إلاّ المسجد الحرام، وأنه كان أكبر بكثير مما بني عليه في صدر الإسلام. فقد جاء في رواية عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «لما أُسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة وأنا على البراق ومعي جبرائيل، فقال: يا محمد، هذه كوفان وهذا مسجد الكوفة انزل فصلِّ في هذا المكان. وينسب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «إن مسجد الكوفة رابع مساجد المسلمين، ركعتان فيه أحبّ إليّ من عشر في ما سواه، ولقد نُجرت سفينة نوح في وسطه، وفار التنور من زاويته والبركة فيه على اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، ولقد نقص منة اثنا عشر ألف ذراع، بما كان على عهده» (الصدوق، ١٩٨٦، ١٦٥). وفي حديث آخر له (عليه السلام) أنه كان مصلّى إبراهيم الخليل والأنبياء (عليهم السلام).

٦- مسجد الكوفة في عهد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)

بعدما تسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمور المسلمين ونظرا إلى إن مقاصده كانت تتبلور في إحياء القرآن والسنة النبوية وإصلاح المفاسد والبدع التي وضعها السابقون، فأصبح إحياء وظائف المسجد الرئيسية وإعادة اعتباره ومكانته الحقيقية على رأس أجندة أعمال الإمام (عليه السلام). إنّ الإمام وكما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) والخلفاء الثلاثة السابقين، قد جعل من المسجد مركزا للخلافة والحكومة، وكان يقوم (عليه السلام) بكافة الوظائف والبرامج الحكومية في المسجد وبمحورية المسجد. فمازال في مسجد الكوفة، توجد علامات مختلفة بعنوان "دكة" إذ تبين كل منها على إحدى وظائف المسجد في حكم أمير المؤمنين منها: " دكة القضاء"، " دكّة الطشت"، " دكّة الفتوا" و... (حسين، محمد الخضر. الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ص٦٥) غير أن التغيير الذي طرأ في تلك الفترة في علاقة الحكومة والمسجد، في المقام الأول في إحياء الوظيفة المعنوية والتربية الأخلاقية ومنبر الوعظ والخطابة الذي قام الإمام بإحيائه وترسيخه بنفسه. فراح المسجد في زمن الإمام علي (عليه السلام) يقوم بأدوار حيوية ومنها:

ألف: جانب الإعلان وتوعية الأفكار العامة.

ب: جانب الاستشارة واتخاذ القرار للحاكم الإسلامي.

ت: جانب التربية والتعليم.

ث-الجانب العسكري والتنظيم وإسناد المقاتلين

ج: -الجانب الاجتماعي وشؤون الحسبة.

ح: جانب مركز الحكومة ومركز إدارة المجتمع.

٧- مسجد الكوفة ودوره المتميز في الحضارة الإسلامية

مدينة الكوفة تُعَدُّ ثاني مدينة أحدثت في الإسلام بعد البصرة، وبعد تخطيط المدينة كان المسجد بالطبع أول ما أنشئ فيها، فقد اختطه سعد بن أبي وقاص سنة ١٧هـ ولقد أصبح هذا المسجد مركزاً مهماً من مراكز العلم، تدرس فيه علوم الفقه والدين واللغة. وقد جلس فيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يلقن الناس أصول الدين والفقه، وكذا "عبد الله بن مسعود" لتدريس القرآن الكريم. كما ظهرت فيه مدرسة للتفسير كان على رأس حلقتها "سعيد بن جبير" وعلي بن حمزة الكسائي. وفي هذا المسجد وضع "أبو الأسود الدؤلي" علم النحو بإشارة من الخليفة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي مسجد الكوفة كانت تتلى على الناس كتب الخليفة، فكثيراً ما كان الوالي يبعث مناديه لينادي في الطرقات العامة لدعوة أهلها إلى الصلاة جامعة. (أحمد فرحان، ١٩٨٣م: ٤٩) تبدأ الفترة المهمة في تأريخ الكوفة ومسجدها الجامع في شهر رجب عام ٣٦هـ الموافق لعام ٦٥٦م عندما اختارها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بعد انتصاره في معركة الجمل لتكون عاصمة للخلافة، وحاضرة للعالم الإسلاميّ. وكان مع الإمام عليّ (عليه السلام) تسعمائة رجل من المهاجرين والأنصار حين خرج إلى حرب الجمل على ما يذكر ابن قتيبة ولا يُعرف عدد من توَّطن الكوفة منهم، لكنهم سمّوا ممن ثبت توطنه منهم مائة وتسعة وأربعين صحابياً، منهم سبعون ممّن شهد بدراً وبيعة الرضوان. وبذلك أصبحت الكوفة المركز السياسي والعالميّ الأوَّل في العالم الإسلامي، فهاجر إليها النَّاس وطلاب العلم، واتسعت بناءً وسكاناً، وعظمت مكانة وشأناً في كل جانب، وكانت الكوفة بعد ذلك عاصمة لخلافة الحسن بن عليّ (عليه السلام)، وعاصمة للمختار بن أبي عبيدة الثقفي أيام ثورته على الأمويين، والعاصمة الأولى للعباسيين أيام أبي العبَّاس السَّفاح، وفي السنوات الأولى لأيام أبي جعفر المنصور. (نقلا عن الكوفة بحث صادر عن مؤسسة الإمام عليّ (عليه السلام). الانترنت.)

٨- مسجد الكوفة ودوره في تأسيس العلوم

قد كان لجامع الكوفة منذ عام ٣٦هـ الموافق لعام ٦٥٦م ولغاية أيام أبي الطيب المتنبي المتوفى في عام ٣٥٥هـ الموافق لعام ٩٦٥م الدور الكبير في تأسيس العلوم والفنون الإسلاميَّة من لغة، ونحو، وصرف، وفصاحة، وبلاغة وبيان، وشعر، ونثر، وكلام، وفلسفة، وتصوف، وتفسير، وقراءات وخطوط وحديث، ورجال، وسيرة، وتأريخ، وأصول، وفقه، وطب، ورياضيات، وكيمياء، وغيرها من علوم وفنون.

٩- مسجد الكوفة انطلاقة لمحو الأمية

قال العلاّمة العراقي الكبير الشيخ باقر شريف القرشي: «ومن أهم البرامج السياسية في حكومة الإمام عليّ (عليه السلام) كان التعليم، ومحو الأميَّة، وإشاعة العلم بين النَّاس فقد اتخذ جامع الكوفة مدرسة ومعهداً لإلقاء محاضراته العلميَّة والفكرية، والتي كان منها الدعوة إلى الله تعالى، وإظهار فلسفة التوحيد وإقامة الإيمان بالله تعالى على ضوء الأدلة العلميَّة الحاسمة التي لا تقبل الجدل والتشكيك، بالإضافة إلى مواعظه التي كانت تهزّ أعماق النفوس خوفاً ورهبة من الله تعالى.

١٠- الصحابة الأجلاء الذين تخرجوا من مسجد الكوفة

كان المسجد في الإسلام مكاناً للعبادة والدرس العلمي والقضاء والاجتماعات العامة التي تتصل بالمصالح العليا للأمة، ومسجد الكوفة كان منذ السنوات الأولى من تأسيسة محلاً لهذه الوظائف التي قام بها عدد من الصحابة وقد تخرَّج من مدرسته جماعة من عظماء الإسلام أمثال الصحابي العظيم عمَّار بن ياسر، وعبد الله بن عبَّاس، وحجر بن عدي، وكميل بن زياد، وأبي الأسود الدؤلي، وميثم الثمار، وغيرهم من الّذين أقاموا صروح النهضة العلميَّة في الإسلام. (نقلا عن موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) للشيخ باقر شريف القرشي ج٧، ص٩) وغير هؤلاء ممّن كانوا أمراء أو قادة منهم، وكان مجلس هؤلاء – في كلّ ذلك – المسجد كما هو الأمر في الصدر الأول. وحين حلّ الإمام علي (عليه السلام) فيها سنة ٣٦هـ واتخذها عاصمة لخلافته حلّ فيها معه عدد كبير من الصحابة الذين رافقوه، وأصبح المسجد الجامعة العلمية الإسلامية الأولى دون منازع.

١١- مسجد الكوفة موضع لتدريس معارف أهل البيت (عليهم السلام)

شهد مسجد الكوفة دروس الإمام عليّ (عليه السلام) – وهو باب مدينه علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) – وخطبه وحديثه، وأقضيته مدى سني خلافته. ومما يروى «كان في يوم من الأيام كان الإمام علي (عليه السلام) جالساً في مسجد الكوفة. فجاءه رأس اليهود وكان ذلك بعد وقعة النهروان، فقال له: يا أمير المؤمنين إنيّ أريد أن أسالك عن أشياء لا يعلها ألا نبي أو وصي نبي فقال الإمام: سل عما بدا لك يا أخا اليهود....) (الدباغ، ٢٠٠٤، ٢٤١) وهذه القصة تدل على أن المسجد كان موضعا للنقاشات العلمية والدينية. وغيرها. وشهد أيضاً دروس الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وعلماء الصحابة والتابعين بعده في العقيدة الإسلامية، وفي التفسير، والقراءات،

والحديث. ثمّ بعد ذلك في العربية (النحو) الذي ألقاه الإمام عليّ (عليه السلام) لأوّل مرة إلى أبي الأسود الدؤلي فبنى عليه، ونحا نحوه. وإلى الكوفة ينسب الخط المعروف بالخط الكوفي، وللإمام عليّ (عليه السلام) كلمات في طريقة تجويده وتحسينه، وعلى يد أبي الأسود كان تشكيله ووضع الحركات عليه لأوّل مرّة أيضاً.

١٢- مسجد الكوفة أوّل مدرسة لقراءة القرآن الكريم

اشتهر مسجد الكوفة بأنه كان مدرسة لإقراء القرآن ففي هذا المسجد كان شيوخ الإقراء يجلسون فيلقنون طلاب العلم القراءات التي رووها بأسانيدهم وتميّز مسجد الكوفة بأنه كان أوّل، وأوسع مدرسة لقراءة القرآن الكريم، ففيه جلس أشهر وأوثق القرّاء، ومن هؤلاء: عبد الله بن حبيب بن ربيعة الضرير، وعبد الرحمن السلمي، الذي أخذ القراءة عن الإمام عليّ والحسنين (عليهم السلام) وعن عبد الله بن مسعود، ومنهم عاصم بن أبي النجود الأسدي، وحمزة بن حبيب المعروف بالزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وهؤلاء جميعاً من القرّاء السبعة. لهذا صارت مدرسة الكوفة أشهر مدرسة للقرّاء في العالم الإسلامي، ولمدرستها النحوية منهاج وسمات متميزة عن نهج مدرسة البصرة. وفي الفقة والعلوم الإسلامية نشأت مدرسة الرأي، ورأسها أبو حنيفة، وحين جاء الإمام الصادق (عليه السلام) زمن المنصور إلى الحيرة، ازدحم عليه المئات من طلاب العلم، حتّى أنّ "محمد بن معروف الهلالي" لم يصل إليه لكثرة الناس، إلاّ في اليوم الرابع[البحار ج٤٧ ص٩٣]. كان منهم أبو حنيفة الذي لازمه لمدى سنتين وكان يذكرهما فيقول: «لولا السنتان لهلك النعمان» [مختصر التحفة الإثنا عشرية – لمحمود الآلوسي – ص٨]. ويقول أبو حنيفة أيضاً: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدم المنصور بعث إليّ، فقال: إنّ الناس قد افتتنوا "بجعفر بن محمد فهيّئ لة من مسائلك الشداد، فهيأت لة أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر المنصور وانا بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس على يمينه.. فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر.. وذكر أنّه سأله بأمر المنصور أربعين مسألة كان يقول في الجواب على كلّ منها: انتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا. ثّم قال أبو حنيفة: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس. فلازمه بعد ذلك رغم محاورات الإمام الحادة معه في شأن القياس [راجع عن مسائله للإمام (عليه السلام) – لمحمد أبو زهرة –: الإمام مالك ص٢٨]. وقال أبو نعيم الأصفهاني: وللإمام (عليه السلام) حوارات مع أبي حنيفة حول القياس [حلية الأولياء ج٣ ص١٩٧].

١٣- مسجد الكوفة ومدرسة الحديث

نشأت مدرسة الحديث في الكوفة سنة ١٧ للهجرة وامتدت إلى نهاية القرن الثالث الهجري ثم بدأت تتقلص بشكل سريع جدا. وفي هذه الفترة التي وجدت هذه المدرسة، كانت الفترة التأسيسية لكافة علوم الحديث فالكوفة وجامعها شاركت مشاركة فعالة في حركة تدوين السنة النبوية وعلومها وأصبحت مركزاً هاما لعلوم الحديث مما جعل كثيراً من كبار أئمة المحدثين يرحلون إليها في طلب الحديث ويترددون عليها دوما. واستطاعت هذه المدرسة أن تخرّج العشرات من الحفاظ والقراء ومن أهم حفاظها التابعين هم: علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي وعبيدة بن عمرو السلماني المرادي وسعيد بن جبير والأسود بن يزيد بن قيس الخزاعي والشعبي وأبو إسحاق السبيعي والأعمش ومنصور بن المعتمر وغيرهم (الطبقات الكبرى٥٧/٦، وطبقات الحفاظ ١٢، وتاريخ بغداد ٢٦٩/١٢)

١٤- مسجد الكوفة وصحابة الإمام علي (عليه السلام)

أدى مسجد الكوفة على عهد الإمام علي (عليه السلام) وما بعده أدواراً مهمة في الحضارة الإسلامية وراح يعد المركز الرئيسي في الإشعاع العلمي والتفقه والتحضر والعمل على تربية صحابة كبار وعلماء افذاذ وقادة أبطال وزعماء ومنهم:

عمار بن ياسر، سلمان الفارسي، عبد الله بن مسعود، عثمان بن حنيف، مالك بن حارث النخعي، عمرو بن زرارة، كميل بن زياد النخعي، زيد بن صوحان العبدي، صعصعة بن صوحان، جندب بن زهير الازدي، حجر بن عدي الكندي.، عدي بن حاتم الطائي، براء بن عازب، أبو مسعود الأنصاري.، سهل بن حنيف، ابو قتادة بن ربعي، زيد بن أرقم.، سليمان بن صرد، ويذكر ابن سعد ٨٥٠ صحابيا تابعياً في كتابة (الطبقات الكبرى، ج٦) والذين أقاموا في الكوفة وترعرعوا علميا وفقهياً ودينياً فيها ونهلوا دروساً جمة من مسجد الكوفة وأصبحوا من الرواة الثقات والأعلام البارزين يشار إليهم بلبنان.

١٥- مسجد الكوفة وصحابة الإمام الحسين (عليه السلام)

ومن الصحابة الأفذاذ الذين نهلوا من معين ذلك الصرح الحضاري والتحقوا بالإمام الحسين (عليه السلام) لنصرتة يوم الطف هم: حبيب بن مظاهر الأسدي، مسلم بن عوسجة، برير بن خضير الهمداني، قيس بن مسهر الأسدي، عمرو بن خالد الأسدي، عابس بن ابي شبيب الهمداني، زهير بن القين البجلي، وحجاج بن مسروق المذحجي، ومسلم بن كثير، حر الرياحي (تاريخ الكوفة، ص ٥٢٠)

١٦- مسجد الكوفة في تراث أهل البيت (عليهم السلام)

١٦-١- مسجد الكوفة في تراث النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله)

مما ورد في مدح الكوفة وفضلها ينسب إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) عدة أحاديث في مدح الكوفة ومسجدها. قال النبي (صلى الله عليه وآله): «لما أسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة وأنا على البراق ومعي جبرائيل (عليه السلام) فقال لي: يا محمد أنزل فصلِّ في هذا المكان، قال: فنزلت فصلّيت فقلت يا جبرائيل أيّ شيء هذا الموضع؟ قال: يا محمد هذه كوفان وهذا مسجدها، أما أنا فقد رأيتها عشرين مرّة خراباً وعشرين مرّة عمراناً، بين كل مرتين خمسمائة سنة» (الصدوق، ١٦٧) وفي العلل: عن أبي سعيد الخدري قال: قال لي رسول الله: الكوفة جمجمة العرب ورمح الله تبارك وتعالى وكنز الإيمان (علل الشرائع ٢/٤٦٠ ح ١) وقال ابن الأثير في نهاية الحديث: أئت الكوفة فإن بها جمجمة العرب، أي ساداتها، لأن الجمجمة الرأس وهو أشرف الأعضاء.

١٦-٢- مسجد الكوفة في تراث الإمام علي (عليه السلام)

وردت في فضل مسجد الكوفة ومكانته الروحية أخبار كثيرة، أطنب في ذكرها الفقهاء وأهل السير والتواريخ، وكلها تبيّن ما لهذا المسجد من مزية على سائر المساجد ما عدا البيت الحرام ومسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله).. فقد روي أن رجلاً أتى علياً (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين إني تزودت زاداً وابتعت راحلة وقضيت ثباتي - أي حوائجي - وأريد أن أنطلق إلى بيت المقدس. قال (عليه السلام): «انطلق فبعْ راحلتك وكلْ زادك وعليك بمسجد الكوفة، فأنه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه تعدلان كثيراً في ما سواه من المساجد، والبركة منه على رأس اثني عشر ميلاً من حيث ما جُئته..» (بحار الأنوار، ج ٢٢، ١٨٤). وذكر المجلسي في بحار الأنوار، كما ذكر صاحب الوسائل مرفوعاً عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: «قال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ (المؤمنون: ٥٠) قال: الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين الفرات.. وعنه (عليه السلام) أيضاً قال: «أربعة من قصور الجنة في الدنيا؛ المسجد الحرام، ومسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة» وعنه أيضاً أنّه قال: «هذه مدينتنا ومحلنا ومقرّ شيعتنا (سفينة البحار ج ٤ ص ٢٦٨) وروي عن الأصبغ بن نباتة أنّه قال: «بينا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد الكوفة إذ قال: يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب به أحداً فضّل مصلاكم بيت آدم، بيت نوح، وبيت أدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلّى أخي الخضر (عليهما السلام)، ومصلاي، وإنّ مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله عز وجل، وكأني به قد أوتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبّه بالمحرم ويشفع لأهلة ولمن يصلي فيه فلا تردّ شفاعته، ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه، وليأتينَّ عليه زمان يكون مصلى المهدي من ولدي، ومصلّى كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلاّ كان به أو حنّ قلبه إليه. فلا تهجروه، وتقرّبوا إلى الله عز وجل بالصلاة فيه وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبوا على الثلج.» (الصدوق، ١٦٧) وفي رواية أخرى قال الإمام عليّ (عليه السلام): لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومسجد الكوفة (الصدوق: ١٦٥) ونسب إلى أمير المؤمنين عليّ قوله مخاطباً الكوفة: «... واني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلاّ ابتلاه الله بشاغل، أو رماه بقاتل (نقلا عن شبكة الإمام الرضا- (عليه السلام) -كوفة الجند والقبائل).

١٦-٣- مسجد الكوفة في تراث الإمام الحسين (عليه السلام)

وفي الكامل والبحار: بالإسناد قال الإمام الحسين (عليه السلام): نفقة درهم بالكوفة تحسب بمائة درهم فيما سواها، وركعتان فيها تحسب بمائة ركعة (كامل الزيارات ٧٠: ح٢ والبحار ٩٧ ص ٣٩٩، ح٤)

١٦-٤- مسجد الكوفة في تراث الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)

وفي الأمالي والبحار: بالإسناد عن الثمالي: أن علي بن الحسين (عليه السلام) أتى مسجد الكوفة عمدا من المدينة فصلى فيه ركعتين، ثم جاء حتى ركب راحلته وأخذ الطريق (بحار الأنوار. ٣٨٩ ح ٤١ / ٦٤ ح ٢٤ وكامل الزيارات: ٧٠ / ح ١) وفي البحار والأمالي بالإسناد إلى أبي حمزة الثمالي قال: بينا أنا قاعد يوما في المسجد عند السابعة، إذا برجل مما يلي أبواب كندة قد دخل، فنظرت إلى أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا وأنظفهم ثوبا، معمم بلا طيلسان ولا إزار، وعليه قميص ودراعة وعمامة، وفي رجليه نعلان عربيان، فخلع نعليه ثم قام عند السابعة ورفع مسبحتيه حتى بلغتا شحمتي أذنيه ثم أرسلهما بالتكبير، فلم تبق في بدني شعرة إلا ثم يا كريم إلى أن قال: إلهي إن كنت قد عصيتك فقد أطعتك ثم قام وصلى أربع ركعات أحسن ركعه وسجده وقال وخرَّ ساجدا ثم رفع رأسه. فتأملته فإذا هو مولاي زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) فانكببت على يديه أقبلهما، فنزع يده مني وأومأ إلي بالسكوت فقلت: يا مولاي أنا من عرفته في ولائكم فما الذي قد أتى بك إليها ههنا؟ (بحار الأنوار، ٩٧/ ٣٨٨ح ١٢) قال: هو ما رأيت.

١٦-٥- مسجد الكوفة والإمام الصادق (عليه السلام)

ظل أثر مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) ممتداً في طلابه الذين كانوا يؤدون دورهم التعليمي في مسجد الكوفة. قال الوشاء: «أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمّد (عليه السلام)» (المجلسي، ج٤٧: ٩٣) ورغم إنّ كثيراً من طلاب العلم هاجر في أواخر القرن الثالث، وفي

النصف الأوّل من الرابع إلى النجف وبغداد، فقد ظلت الكوفة مركزاً علمياً يلازم مسجده العلماء والعباد. فقد ذكر الشيخ الصدوق (رحمة الله) أنه لدى وروده سنة ٣٥٤هـ أجيز في مسجد الكوفة من قبل عدد من العلماء، وأجيز كذلك من عدد آخر في مشهد الإمام عليّ (عليه السلام). وظل الأمر كذلك حتىّ هاجر الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف سنة ٤٤٨هـ وأصبحت النجف الأشرف بذلك مركزاً علمياً، ومرجعية دينية، فقصدها طلاب العلم من الكوفة وبغداد، وعاد مسجد الكوفة خالياً كما ورد في الحديث عن الكوفة في نهاية القرن الخامس والسادس.. ومن الأحاديث الواردة في فضل جامع الكوفة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: صلاة في الكوفة تعدل ألف صلاة في غيرة من المساجد (ثواب الأعمال: ٣٠، بحار الأنوار: ٩٧ / ٣٩٧ ح ٣٦) وفي ثواب الأعمال والبحار، بالإسناد عن أبي بصير قال، سمعت الصادق (عليه السلام) يقول: نعم المسجد مسجد الكوفة، صلى فيه ألف نبي وألف وصي، ومنه فار التنور، وفيه نجرت السفينة، ميمنتة رضوان الله ووسطة روضة من رياض الجنة وميسرته مكر، فقلت لأبي بصير: ما يعني بقوله مكر؟، قال: «يعني منازل الشيطان» (السابق: ٩٧ / ٣٩٧ ح ٣٧ (وفي البحار، بالإسناد عن الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: الصلاة في مسجد الكوفة الفريضة تعدل حجة مقبولة، والتطوع فيه يعدل عمرة مقبولة) بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٠٠ ح ٤٧، وكذا: كامل الزيارات: ٧١ ح ٤ (وفي الكامل والبحار عن القلانسي قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «الصلاة في مسجد الكوفة بألف صلاة» (كامل الزيارات: ٧٣ ح ٧، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٠٠ ح ٤٩ (وفي الكامل والبحار بالإسناد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «مكة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة والدرهم فيها بمائة ألف درهم، والمدينة حرم الله وحرم رسولة وح رم علي بن أبي طالب، الصلاة فيها (في مسجدها) بعشرة آلاف صلاة، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الصلاة في مسجدها بألف صلاة» (كامل الزيارات: ٧٣ - ٧٤ ح ٨، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٠٠ ح ٥ (وفي الكامل والبحار بالإسناد قال أبو عبد الله (عليه السلام): «نفقة درهم بالكوفة تحسب بمائة درهم فيما سواها، وركعتان فيها تحسب بمائة ركعة» (كامل الزيارات: ٧٠ ح ٢، بحار الأنوار: ٩٧ / ٣٩٩ ح ٤٢ (وفي رواية: «الدرهم فيها بألف درهم» (السابق: ٧٤ ح ٨، فضل الكوفة: ١٢) وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: «تربة تحبنا ونحبها، اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها» وفي فرحة الغري والبحار: بالإسناد الطويل عن ابن البطائني عن صفوان عن أبي أسامة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: الكوفة روضة من رياض الجنة، فيها قبر نوح وإبراهيم وقبور ثلاثمائة نبي وسبعين نبيا وستمائة وصي، وقبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين(عليه السلام) (بحار الأنوار. ٤٠٤ ح ٦١ / ٣ - فرحة الغري: ٩٨ ح ٤٥) وفي الأمالي والبحار: بالإسناد عن محمد بن الحسن، عن هارون بن خارجة قال: قال لي الصادق (عليه السلام): كم بين منزلك وبين مسجد الكوفة، فأخبرته، قال «؟ ما بقي ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح دخل الكوفة إلا وصلى فيه، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر به ليلة أسري به فاستأذن له الملك فصلى فيه ركعتين، والصلاة فيه الفريضة بألف صلاة، والنافلة فيه بخمسمائة صلاة، والجلوس فيه من غير تلاوة قرآن عبادة، فأت ولو زحفاً (أمالي الطوسي: ٤٢٨ ح ١٤، أمالي الصدوق: ٤٦٩ ح ٤، ٨٠ البحار ٨٠، البحار ٣٥٩ ح ١١ / ٣ -)

١٦-٦- مسجد الكوفة في تراث الإمام الرضا (عليه السلام)

بالإسناد عن محمد بن سنان قال: سمعت الإمام الرضا (عليه السلام) يقول: «الصلاة في مسجد الكوفة فرادى أفضل من سبعين صلاة في غير جماعة» (ثواب الأعمال: ٣٠، بحار الأنوار: ٩٧ / ٣٩٧ ح ٣٤).

١٧- فضائل مسجد الكوفة

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «الصلاة في مسجد الكوفة الفريضة تعدل حجة مقبولة، والتطوع فيه يعدل عمرة مقبولة (بحار الأنوار٩٧ / ٣٩٧ ح ٣٣). ومن فضل مسجد الكوفة أن المسافر الذي حكمه التقصير في الصلاة مخيّر فيه بين التقصير والتمام، مع استحباب اختيار التمام. (الصدوق، ٢٣٥) ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «تتمّ الصلاة في أربعة مواطن، في المسجد الحرام، وفي مسجد الرسول، ومسجد الكوفة، وحرم الإمام الحسين (عليه السلام). ومن ميزة مسجد الكوفة أيضاً النص على الاعتكاف به فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً في هذا المجال قال: «لا يصلح الاعتكاف إلاّ في المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الكوفة أو مسجد جماعة، وتصوم ما دمت معتكفاً. (بحار الأنوار ٩٩ / ٣٩٦ ح ٣٢)

١٧- مسجد الكوفة وأدواره الحضارية

١٧-١- مسجد الكوفة والقضاء

كان الإمام علي (عليه السلام) يجلس عند دكة القضاء في جامع الكوفة فيجتمع حولة الناس فيحكم بينهم بالعدل، وينظر في قضايا الأحوال الشخصية ويقيم الحدود ويدحض الشبهات، ويرشدهم إلى الصراط السوي، ويبصرهم بتعاليم الشريعة الغراء، وبهذا فقد كان الجامع محكمة لفض الخلافات الدينية والمدنية ومحلاً للتوجية والإرشاد الإسلامي.

١٧-٢- مسجد الكوفة -محل التجارة والاقتصاد

من الأخبار التي يستدل منها على أن جامع الكوفة كان مركزا أيضاً من محلات البيع والشراء والمساومة على الصفقات التجارية، فقد كان إسماعيل السدي الكوفي المتوفى (١٠٧هـ-٧٢٥م) يبيع المقانع في سدة مسجد الكوفة وفي نفس السدة كان محمد بن عبد الرحمن القرشي الملائي يبيع الملاء، وذكر البيروني أن بعض ذخيرة كسرى وضعت في جامع الكوفة فابتاعها عمرو بن حريث بألفي ألف درهم وباعها في أرض الأعاجم بأربعة آلاف ألف درهم (نقلا عن البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر \ ٦٩ ط ١ حيدر آباد الدكن ١٣٥٥.) حتى قال اليعقوبي: ــ وجعلت السوق من القصر والمسجد إلى دار الوليد إلى القلائين إلى دار ثقيف وأشجع، وعليها ظلال يوارى إلى أيام خالد بن عبد الله القسري فأنّه بنى الأسواق وجعل لأهل كل بياعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند... ومهد لنظام سمي فيما بعد بنظام الأصناف وجمع أهل كل حرفة ومهنة بمنطقة وعمل على إيجاد روابط مهينة فيها بينهم (معجم البلدان، ٧١).

١٧-٣- مسجد الكوفة ملتقى الأدباء والحكماء والقصاصين

لقد توسع المسلمون في فهم مهمة المسجد فكان مصلى ومدرسة وجامعة ودارا للافتاء ومنطلقاً للثوار والوطنيين في كل العصور، وبذلك لعبت المساجد دوراً خطيراً في حياة المسلمين ولم تقف وظيفتها التربوية عند هذا الحد بل كانت أشبه بنوادي علمية تثار فيها المسائل والمجادلات الأدبية واللغوية المختلفة، كذلك كانت مقصداً للقصاصين يجلسون فيها فيقصون على الناس القصص التي تجمع بين العبرة والتسلية... وكذلك كانت المساجد مسرحاً للشعر العربي. (علي الجمبلاطي التوانسي، دراسات مقارنة في التربية الإسلامية، ١٩) ولقد اشتهرت مساجد وجوامع متعددة في العصر العباسي، وكانت قبلة انظار العلماء والمتعلمين والأدباء، ومن هذه المساجد في العراق مسجد الكوفة وجامع البصرة وجامع المنصور وانتشرت في هذه المساجد الحلقات العلمية فلم تقتصر على الحلقات المتخصصة بالدراسات الدينية واللغوية بل تعدتها إلى سواها من معارف ذلك العصر كالطب والفلك والحساب وغيرها. وترى في جامع الكوفة جماعات من الناس اتخذوا الجامع منتدى لهم، وطال غشيانهم فيه، فعرفوا ونسبوا إليه وهم المسجديون ولم يكونوا من صنف واحد بل كانوا خليطاً من الناس، منهم الشعراء ومنهم الرواة، ومنهم مصطنعو الحكمة وكانوا يستطرفون من هذه الثقافات التي يزخر بها جامع الكوفة، ولا يستغرقون في فن ولا يتقيدون بنوع من العلم، وإنما يصيبون من هذا، وذاك، ثم يجلس بعضهم إلى بعض يتحدثون بشتى الأحاديث ويتجاذبون أطراف الرأي في مختلف المسائل حتى أتقن بعضهم تزويق القصص وتنميقها وإخراجها إلى الناس لتسليتهم وغالباً ما يجتمع حول القاص في مسجد الكوفة قوم من العامة يستمتعون بسماع القصص تمضية للوقت وترويجاً للخاطر واتصل بعض القصاصين بالكوفة بقبائل العرب واختلطوا بها وعرفوا أخبار أسلافها وأيامها ووقائعها الماضية ثم يقفلون راجعين إلى الكوفة فيحدثون من يرتبط بتلك القبائل بوشيجة عن أخبار أجدادهم في الجاهلية. ولذلك كان المسجد مركزاً للتعليم العالي، وقد أثّر في نمو العلوم وانتشارها لاتصاله بالدين وكونه مكاناً للعبادة، وكذلك فتح أبوابه ليتلقى الجميع العلم فيه، على اعتبار أن بيوت الله ليس لأحد عليها سلطان، ولا يحتاج الدخول إليها إلى استئذان، ويشعر الطالب فيها بالحرية واليسر.

١٧-٤- مسجد الكوفة ومدارسة الشعر

كان لمسجد الكوفة الأثر المشهود في نشر الثقافة الإسلامية فهذا المسجد منذ تأسيسه كان منارة للعلم والثقافة وتردد عليه جموع غفيرة في شتى العلوم والآداب ولذلك كان مركزاً للندوات العلمية وحلقات التدريس. ويذكر الرّواة أنّه كان لكميت بن زيد الأسدي الشاعر الولائي المعروف، مجلس في مسجد الكوفة يجلس فيه ليلقي دروسه على من يلتف حوله من التلاميذ (ابن قتيبة، ٣٦٨ والمرزباني، ١٩١). ويروي صاحب الأغاني أنه اجتمع كميت مع حماد الرواية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها، واستطاع الكميت أن يفحم حماداً في بعض المسائل اللغوية، وأن يظهر قصوره في الرواية (الأصفاني، ١٥، ص١٠٩-١١٠). فهذه الروايات تدل على دور مسجد الكوفة في نشر وتنمية الثقافة الأدبية طوال العصور.

١٧-٥- مسجد الكوفة المنبر الإعلامي لكافة الأصعدة

اتخذ الإمام علي (عليه السلام) مسجد الكوفة منبراً اعلامياً يخاطب الناس حول إي طارئ يطرأ في الحرب والسلم ومنه ما طرأ حول التعريف بوحدانية الله وفردانيته وصمديته. رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) أنه قَالَ خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عِيَاناً لِنَزْدَادَ لَهُ حُبّاً وَبِهِ مَعْرِفَةً فَغَضِبَ وَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَهُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) ثُمَّ قَالَ: في وصف الله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ

وهوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وعَوَائِدِ الْمَزِيدِ والْقِسَمِ عِيَالُـةِ الْخَلَـائِقُ ضَـمِنَ أَرْزَاقَهُـمْ وقَـدَّرَ أَقْـوَاتَهُم ونَهَـجَ سَـبِيلَ الـرَّاغِبِينَ إِلَيْـهِ والطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ولَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ والْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْـدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْـدَهُ والـرَّادِعُ أَنَاسِـيَّ الْأَبْـصَارِ عَـنْ أَنْ تَنَالَـهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَا اخْتَلَفَ عليه دَهرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ ولَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عليه الانْتِقَالُ ولَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْـهُ مَعَـادِنُ الْجِبَـالِ وضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلزِّ اللُّجَيْنِ والْعِقْيَـانِ ونُثَـارَةَ الدُّرِّ وحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ ولَا أَنْفَدَ سَـعَةَ مَـا عِنْدَهُ ولَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ. مَا لَا تُنْفِـدُهُ مَطَالِـبُ الْأَنَـامِ لِأَنه الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُـؤَالُ الـسَّائِلِينَ ولَـا يُبْخِلُـهُ إِلْحَـاحُ الْمُلِحِّينَ (نهج البلاغة: ١٢٥)

١٧-٦- مسجد الكوفة والمجال التعليمي

إن عناية المسلمين بالمساجد فاقت عناية كل الأمم بأماكن عبادتهم من حيث العدد والارتباط الشديد بهـا والنظافـة التامـة والفائدة العامة، فقد كان التعليم بمختلف مناهجه ومراحله جزءا لا يتجزأ من رسالة المسجد في كل عصر ومكان... بل نستطيع القول إن المدارس النظامية ماهي إلا ربيبة المـساجد ورضـيعة المحاريب وقد تلقى فيها المسلمون الأوائل مختلف العلوم، مـن فقه وأصول وحديث ولغة وآداب وتاريخ وغيـر ذلـك، وتخـرج منها آلاف النابغين والأئمة والمبدعين.

١٧-٧- مسجد الكوفة الجامعة الكبرى

ولـم تكـن نـشاطات المـسجد قاصـرة علـى تعلـيم الفقـه وتفسير القرآن الكريم ورواية أحاديث الرسول (ﷺ) وشرحها وتـدارس بعـض العلـوم الإسـلامية، بـل درسـت فيـه العلـوم والمعارف الأخرى كعلم الكلام وغيره. "ومع مرور الأيام كانـت تعقد في المسجد حلقات لدراسة الكيميـاء والفيزيـاء والهندسـة والفلك والطب وغيرها من العلوم ما تنهض به الجامعـات الآن" (محمد علي قطب، ص٤٩، ٥٠)

١٧-٨- مسجد الكوفة نقطة انطلاق مدرسة الرأي

كـان مـسجد الكوفـة مركـزا مـن مراكـز دراسـة الفقـه وازدهاره، ففي هذا المسجد ظهرت بوادر مبـادئ الفقـه المبنـي على التجرد واستنباط مفتوح من الكتاب والسنة، كما ظهرت في مسجد الكوفة أيضاً مدرسة لتفسير القرآن الكريم واشتهر مـن رجالها سعيد بن جبير المقتول سنة ٩٤ هـ وكـان سـعيد بـن جبير عالما بالتفسير، وعلي بن حمزة الكسائي الذي انتهت إليه رياسة الاقراء بعد حمزة بن حبيب وكان يجمع طلابه ويجلـس علـى كرسـي ثـم يتلـو علـيهم القـرآن الكـريم ويـسمعمون ويضبطون عنه. وعن أنس بن سيرين: قال أتيت الكوفة فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث وأربعمائة قد فقهوا وأربعمائة (الراهرمزي، ٥٦٠) فاشتهر مسجد الكوفة بحركته العلميـة ذات التأثير البعيد في التشريع الإسلامي لأن "عبـد الله بـن مـسعود" كان من أنصار الاجتهاد، وقد أقـام بالكوفـة أمـداً غيـر قـصير فكان معلماً ودارساً شارحاً لكتـاب الله، وإذا كـان ابـن مـسعود قارئاً ندي الصوت، حافظاً لكتـاب الله، حـسن الـتلاوة، حتـى أن رسول الله (ﷺ) كان يطلب منه أن يقرأ القرآن ليسمع، اذا كـان ابـن مـسعود كـذلك، فأنـه عمـل علـى احيـاء مدرسـة للقـراءة بالكوفة، تجردت للضبط والاتقان، وتخصصت في الترتيل الجيد لهجة ومخرجاً ووقفاً، فمن رجال القـراءات بالكوفـة يحيـى بـن وثاب، وعاصم بـن أبـي الجنـود، وسـليمان الأعمـش، وحمـزة الزيـات، والكـسائي، ومعـروف أن ثلاثـة مـنهم، وهـم حمـزة وعاصم والكسائي يعدون من أئمة القراء السبعة الـذين رزقـوا حظوة بين المسلمين، فاذا استطاع مسجد الكوفة أن يبرز هولاء الاعلام في مجال القراءات فقد وفـى إلـي خيـر كثيـر. أمـا أثـر المسجد الكوفي في مجال التشريع فأوضح من أن يـشار إليـه، لأن مدرسة الرأي التي انتهـت زعامتهـا فيمـا بعـد إلـى الإمـام الأعظم "أبي حنيفة النعمان" قد نشأت بالكوفة، وذلك لأن العراق قد ورث حضارة ومدنية، وانتشر فيه الموالي من سبي فـارس، ولم يكن الفتح الإسـلامي سـلباً وتـدميراً، ولكنـهُ كـان رعـاية ومـساواة وعدالة، فواجه المسلمون فيما فتح عليهم مـن الـبلاد مسائل جديدة تحتاج إلـى أحكـام فقهيـة فاسـتعانوا بالاجتهـاد القائم على القيـاس، وفـي مقابـل المـسجد الكـوفي كـان علمـاء المسجد النـبوي يـقفون عند ظواهر النصوص بدون بحـث فـي عللها، ولهم مع مخالفيهم مناقشات وردود. تزعم مسجد الكوفة الـرأي حتـى اشـتهر كبيـر علمائـة بربيعـة الـرأي.. (البيـومي، ١٤٠٣هـ، ٣١٩) وكانت عناية أهل الكوفة بـالقرآن الكـريم أكثـر، وعدد القراء بها كان يزيد على من كان منهم في المدينة أو مكة أو البصرة (الـسيوطي ٧٣/١)). وقـد كـان لقـراء الكوفـة كتيبـة خاصة في ثورة الأشعث (الطبري، ٦/ ٣٥٠) كمـا نمـت دراسـة الفقه حـتى أنه يمكن القول بأن كـل الإشـارات إلـى «فقـه أهـل العراق» يقصد منه فقه الكوفيون. فعمل هؤلاء العلماء الكـوفيين، بتشجيع مـن الخلفـاء العـباسيين الأوليـن، علـى نـشر علـوم القرآن والحديث والسنة والفقه، وسيرة الرسول، وأخبار العرب وشعرها، وهي العلوم التي سـبق أن وضـع العـرب أسـسها ونموّها لأنها معبرة عن ميولهم واتجاهاتهم ومعـززة لكيـانهم. وبذلك استقرت الثقافة بـبغداد عـلى نـفس الأسس والاتجاهات الـسابقة. وسـرعان مـا اتـضحت معـالم هـذا الـصرح الثقـافي وازدادت عناية الناس به وتـقديرهم له.

١٧-٩- مسجد الكوفة والبعد السياسي والعسكري

نجد المسجد النبوي الشريف في عصر النبي (ﷺ) يتخذ مكانًا للقيادة والحكم، بل للاجتماعات وأخذ الرأي والشورى وغير ذلك من لأمور السياسية. ففي عقب الصلوات المكتوبة التي كان ينادى لها بالأذان كإعلان لدخول وقتها والتجمع من أجل إقامتها جماعة، كانت تبلغ القيادة مباشرة ما تريد إبلاغة للمسلمين، وإذا حدث أمر مفاجئ كصلاة الكسوف أو الخسوف كان ينادى عَلى عهد رسولِ الله (ﷺ) إنّ الصلاة جامعة (صحيح مسلم١/٣٧٨: ٥٣٥) فكانت هذه هي الطريقة التي يتم تجميع الناس بها في المساجد في غير أوقات الصلوات المعلوم وقتها، بل أكثر من ذلك فقد كان المسجد مكانًا للبيعة للإمام، ولاستقبال الوفود، وعقد المعاهدات بل واتخاذ قرارات الحرب وتسيير الجيوش. حيث أدى المسجد دوراً إيجابيا وفعالاً في هذا المجال في الوقت الذي لم يكن فيه تنظيم عسكري يضم الجيش أو الشرطة وما إلى ذلك مما ظهر بعد عهد الرسول (ﷺ) وكل ما هنالك أن تحدد مسؤولية قيادة الجيش في رجل من المسلمين ويخرج المسلمون معه ملبين داعين للجهاد في سبيل الله. ولقد كان المسجد الثكنة الأولى في الإسلام، ومقر القيادة العسكرية والحربية آنذاك. فقد اتخذ النبي (ﷺ) من مسجده مقراً للقيادة، يعد فيه الخطط ويعقد مجالس الجهاد، ويصدر الأوامر وينصت إلى آراء المستشارين، وكان يحشد أصحابة في المسجد، ويشحنهم بطاقات مادية ومعنوية ويحرض المؤمنين على الثبات وينهاهم عن الفرار، ويحذرهم من الفرقة والنزاع، ويأمرهم بالطاعة والضبط ويشيع فيهم الألفة والنظام. وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد وتعقد – السرايات والأعلام، والبنود في المسجد للمجاهدين. "وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد وتضمد جروح المصابين، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد". (محمود شيت خطاب، ١٤٠١هـ ص ٤٢). كما ساهم المسجد في بناء الجيش الإسلامي وعقد الألوية وحث المسلمين على الصبر وملاقاة العدو والحرص على إعلاء كلمة التوحيد، كذلك كان مركزاً ومقراً لإدارة شئون الدولة أو الولاية، وكان المنبر أشبه بالعرش، يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة ويلقي فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم. كذلك اتبع الإمام علي (عليه السلام) نهج النبي (ﷺ) بجعل مسجد الكوفة مركزاً متعدد الأغراض لتأدية بعض الوظائف الخطيرة على رأسها الجانب العسكري والسياسي بحيث بدأ الإمام نضاله ومواجهته ضد الناكثين والقاسطين والمارقين من مسجد الكوفة وأخذ يُعبّئ الجيوش ويثير حماسهم ونخوتهم تجاه أعدائهم وكذلك فعل الإمام الحسن (عليه السلام) والسيدة زينب (عليها السلام) والإمام السجاد وخطبهم انطلقت من ذلك المسجد لمواجهة أعداء الدين الإسلامي أي بني أمية وطواغيتها بحيث تكللت تلك المساعي التي انبثقت من ذلك المسجد بالنجاح وساهمت بشكل لافت في إسقاط الحكم الأموي وتوالت أحداث كثيرة ضد بني أمية منشؤوها مسجد الكوفة. فهذا المسجد أدى أدوراً خطيرة وجسيمة في حياة الأمة الإسلامية تجاوزت الوظيفة الدينية والروحية البحتة وشملت قضايا تمس واقع المسلمين كقضية التعليم والتثقيف والإرشاد والتوجية، وقضايا اجتماعية وسياسية وطبية وعسكرية وقضائية وتربوية وأدوار إعلامية وقضايا اقتصادية وغير ذلك كلها ساهمت بشكل لافت في دفع الحضارة الإسلامية نحو التقدم والرقي.

١٧-١٠- مكتبات مساجد الكوفة وأثرها في إثراء ينابيع العلم والمعرفة

يعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها في الإسلام لأهميته الكبيرة في الحياة الدينية والسياسية والفكرية، ففيه تقام فرائض الدين وفيه يبايع الخلفاء والأمراء وتبحث أمور الحرب والسلم، وكثيرا ما تحدث فيه التجمعات السياسية، وكان الأمير يعلن فيه ما أنيط به من أمر. وبقي المسجد إلى أواخر القرن الثالث الهجري على الأقل المدرسة التي يتلقى فيها الناس العلم والمعرفة، ويلتقي فيه العلماء والأدباء فيتناقشون أو يلقون المحاضرات في حلقاتهم وينشرون علمهم، كما يقوم القصاصون والوعاظ بوعظ الناس وإرشادهم وتبصيرهم بمبادء الدين الإسلامي. وقد صنف الكثير من الكتب في المساجد الإسلامية ويؤكد ذلك المخطوطات الكثيرة المنتشرة في أنحاء العالم وفيها يشير مؤلفوها أو ناسخوها بأنها ألفت أو نسخت في عدد من المساجدو أمكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيها يقيمون ويعيشون، ويدرسون ويتدارسون ويؤلفون آثارهم الفكرية ومن أجل أن يحقق المسجد مطامح مريديه وييسر عملهم العلمي فقد ألحقت في كل مسجد مكتبة عامرة تضم عددا وفيرا من الكتب في مختلف مواضيع الأدب والعلم، وتسابق الناس إلى تزويد المساجد بالكتب وكان بعض المسلمين يؤلفون الكتب ويضعونها في المساجد كوقف لتعم فائدتها بين الناس، ويكسب بها المؤلف الأجر والثواب، كما يحافظ على كتبه من أن تبددها الأيدي، وهكذا صارت بعض المساجد أشبه بالأكاديميات الثقافية، وكان لهذا الأثر الكبير في نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف.

وفي الكوفة عدد كبير من المساجد الإسلامية وهي منبثة في مختلف أرجائها وفي جميع طرقها ومحلاتها وأسواقها وفي

هذه المساجد تعقد الندوات. (نقلا عن الطريحي، مجلة المورد، ٢٩٢)، والكندي أشهر من أن يذكر وقد طبعت أكثر كتبه التي عثر عليها وصدرت عن الكندي وفلسفته وشخصيته الكثير من الدراسات وأبحاث بأكثر اللغات الحية (السابق) ومن أهم المساجد الإسلامية في الكوفة والتي حافظت على كيانها ومركزها حتى الوقت الحاضر هو المسجد الجامع الشهير بهذه المدينة، ومسجد السهلة ويرتقي عهدها إلى مستهل القرن الأول الهجري، ومن مساجدها الصغيرة الباقية: مسجد الحمراء، ومسجد الحنانة، ومسجد زيد بن صوحان، ومسجد صعصعة بن صوحان، ومن مساجد الكوفة المندثرة: مسجد الأنصار، مسجد جهينة، ومسجد كندة، ومسجد ثقيف، ومسجد تميم، ومسجد بني أسد، ومسجد مخزوم، ومسجد عبس، وهي من المساجد القبلية، ومن مساجد العلماء: مسجد أبي إسحاق السبيعي، مسجد حمزة الزيات، مسجد إبراهيم النخعي، ومن مساجد المحلات مسجد الحلقات العلمية للدرس والمناظرة والوعظ وأشهر مساجد الكوفة صيتا، وأكثرها شهرة المسجد الجامع والذي ما زال عامرا بالحياة زاخرا بالعمران، ويمكننا القول بأن خزانه كتب حافلة بنوادر المخطوطات كانت في هذا المسجد الشريف، ويؤيدنا في ذلك كثرة ما وردنا من أنباء المحاضرات والمناظرات التي كان يغص بها المسجد يوميا بين العلماء والمحدثين والأدباء وفي كتب التاريخ والأدب كلها أدلة واضحة على هذا النشاط الواسع. ومما يؤيدنا أيضاً أن إسحاق بن مرار الشيباني وهو من اللغويين الكوفيين (توفي سنة ٦٠٢ هـ-١٢٨ م) أنه جمع أشعار نيّف وثمانين قبيلة من العرب ودوّنها وكان كلما عمل منها قبيلة أخرجها إلى الناس في (مجلد وجعلها في مسجد الكوفة (نقلا عن الطريحي، ٣٠١) ولا نستبعد وجود خزانة كتب مماثلة في (قصر الأمارة) تضم ما يحتاجه والي الكوفة ومنتسبو القصر، من مراجع وكتب تعينهم على مراجعة الأحكام والاستمتاع بالقراءات لا سيما أن الكثيرين من ولاة الكوفة كانوا أنفسهم من الشعراء أو الأدباء.

البعد التاريخي للكوفة ومسجدها

١- مسجد الكوفة وحرب الجمل

بعد ما تفاقمت الأوضاع ونقم الكثير من عثمان وقُتِلَ فيما بعد هرع الكثير من الناس لمبايعة الإمام علي (عليه السلام) وتوافدت الجموع من أهل الكوفة ومصر لإعلان البيعة وهكذا تمت البيعة للإمام، وكان أهل الكوفة أول من بايع عليّاً (الطبري٢/٧٠٠)) وكان طابع التشيع لأهل البيت (عليهم السلام) غالباً في الكوفة، بمعنى أنهم ليسوا من اتباع الخط العثماني، فأهل الكوفة طوال خلافة الإمام عليّ (عليه السلام) منقادين إليه كارهين النزعة العثمانية. كانت مخالفة عثمان في الكوفة شديدة إلى الحد الذي كان "جرير بن عبد الله البجلي" قد قال: لن أبقى في مدينة يُسبُّ فيها عثمان علناً (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق٦/٣٠، ٧/ ٢٨٢)) إلاّ إنّ أهل المدينة المنورة وإن كانوا قد بايعوا عليّاً (عليه السلام)، إلاّ أنهم قد انعزلوا عن مسرح السياسة بشكل تدريجي، وقد انزووا سياسياً وبشكل ملحوظ في الوقائع والأحداث اللاحقة. ولما اطلع الإمام علي (عليه السلام) قبيل معركة الجمل بهجرة طلحة والزبير إلى البصرة استشار أصحابه كعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر وغيرهم في كيفية مواجهة الناكثين والمارقين، قال عمار: «الصوب أن نتوجه إلى الكوفة لأنّ أهلها شيعتنا...» (مفيد، ١٢٨) فهذه الرواية وروايات أخرى تذكر لنا أن اشتراك البعض من الكوفيين مع جيش الإمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل تعبر عن حضور وفود من مؤيدي الإمام في هذه المدينة، بالإضافة «إلى الدور السلبي الكبير الذي لعبه "أبو موسى الأشعري" ودعاياته ودعوته الناس إلى الصمت والانعزال والابتعاد عن وقوع الفتنة» (الدينوري، ١٤٤و إليعقوبي١٨١/٢) وبعد تلك الدعايات الهزيلة والمتثبطة وعزوف الكثير من الكوفيين للإنضمام إلى جيش الإمام، أرسل الإمام "هاشم بن عتبة بن أبي وقاص" وبعده أرسل ولده الإمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى الكوفيين. وعندما دخلا إلى مسجد الكوفة كان أبو موسى الأشعري في مسجد الكوفة والناس حوله وكان يقول: «يا أهل الكوفة أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب، يأوي إليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف، أيّها الناس إن الفتنة إذا اقبلت شبّت وإذا ادبرت نبّهت، وإن هذه الفتنة الباقرة لا يُدري من أين تأتي، ولا من أين تؤتى، شيّموا سيوفكم، وانزعوا أسنة رماحكم، وأقطعوا أوتار أقواسكم، والزموا بيوتكم، أيّها الناس إنّ النائم في الفتنة خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الساعي» (السابق: ١٤٤و إليعقوبي١٨١/٢) فقام الإمام الحسن (عليه السلام) وعمار وعاتبا أبا موسى الأشعري ودعوا الناس إلى قتال الناكثين، وأن ينصروا عليّاً (عليه السلام) وبعد ذلك الخطاب لبيّ جمع غفير دعوة الإمام الحسن (عليه السلام) ومن هذا المنطلق أردنا أن نبين دور مسجد الكوفة الإعلامي في مناصرة الحق وبث الحماس في نفوس الكوفيين في الوقوف إلى جانب الإمام علي (عليه السلام) وتقريع المتثبطين والناكثيين وبعد معركة الجمل أصبحت الكوفة ومسجدها منطلقا للتشيع ومناصرة الحقّ في وجه المد الأموي، فقدوم الإمام علي (عليه السلام) إلى الكوفة أعطاها الصفة الرسمية بمعنى انّ الأوضاع الجديدة أعطت الأمصار التفوق على الجزيرة العربية ؛ لتشخيص مصير العرب السياسي، وبشكل عام مصير العالم الإسلامي، وبهذا تحولت الكوفة

وجامعها إلى مركز وعاصمة الخلافة ومركز لبث المعرفة العلوية (الفكر الشيعي) ومحل اتخاذ القرارات المصيرية بدلاً من المدينة وبعد مخاض عسير وعواصف سياسية وحوادث خانقة وجسيمة التي شهدتها الكوفة ومسجدها الأعظم استطاعت أن تلعب دوراً حاسماً في إسقاط الخلافة الأموية لتحل محلها الدولة العباسية الساعية للانتصار والهيمنة. كما أن الخليفة العباسي الأول قد أعلن عن خلافته بصفة رسمية في مسجد الكوفة الكبير عام ١٣٢للهجرة النبوية المباركة.

٢- الكوفة ومسجدها في عهد بني أمية

كانت الكوفة-ولاسيما في العصر الأموي-مركزاً للعلم والأدب وملتقى العلماء والأدباء والشعراء يزدحمون في مسجد الكوفة أو غيره من الجوامع والمساجد العامة والنوادي والمحافل للمفاخرة أو المناظرة أو المناضلة أو المناشدة، وكان أشراف الكوفة يخرجون إلى ضواحيها أيضاً لمثل ذلك الغرض لما كان في ضواحيها من جالية العرب أهل البادية من القبائل التي نزحت إلى هناك بعد الإسلام، فكانت الكوفة وضواحيها كسوق عكاظ في الجاهلية تتألف فيها لفحول شعرائها حلقات المناشدة والمفاخرة ومجالس العلم والأدب، وكان الشعر في الكوفة أكثر منه في البصرة. وفي الكوفة احتك العرب بغيرهم من الأمم المتمدنة، وفيها اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم، وفيها ولدت الآداب اللسانية، فتكاثرت فيها الأندية الأدبية، وذلك من أهم البواعث على زهو الشعر فيها، فلا غرو إذا نبغ فيها الشعراء والأدباء أمثال الكميت بن زيد الأسدي وأبي الطيب المتنبي وأبي العتاهية ودعبل الخزاعي وحماد عجرم وحماد الرواية وغيرهم. وقد عملت الكوفة ومسجدها على تربية شعراء سياسيين مواليين لأهل البيت (عليهم السلام) معارضين للنهج الأموي أمثال (الكميت ودعبل) وغيرهم والكوفة كانت معروفة بأنّها علوية المبدأ على الأكثر فكان فيها من أنصار العلويين أو الهاشميين ومن أنصار الأمويين، وفيها من أنصار الخوارج وآل المهلب وغيرهم. (الطباطبائي، ١٣٥٧ة. ش، ٧٩٧) الجدير بالذكر أنّ تلك المنافرات أدت إلى رواج المنافسة في مسائل شتى بين الكوفيين والبصريين في النحو والفقه والأدب واللغة لاسيما في العهد العباسي الأول وانتمت إلى كل مذهب طائفة حتى قيل: مذهب الكوفيين ومذهب البصريين وكان خلفاء الدولة العباسية يدعمون ويقدمون الكوفيين لأنّهم كانوا من أنصارهم لما قاموا لطلب الخلافة في الكوفة، فكانوا يقربونهم دون البصريين ويختارون منهم أساتذة لأولادهم، فالكسائي والفراء والمفضل الضبي وابن القطامي وغيرهم كلهم من أهل الكوفة وقد علّموا أبناء الخلفاء.

٣- مسجد الكوفة من العهد العباسي إلى القرن الثالث عشر للهجرة

جرت في مسجد الكوفة البيعة الصُّوريّة الأولى للعباسيين، ففيه بويع لأبي العباس السفاح سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م، وقد جعلهُ مركزاً لانطلاق أعمال حكومته وشهد هذا المسجد في العصر العباسي حدثاً خطيراً في تاريخه بعد أن اتخذه القرامطة محلاً لاجتماعاتهم ولقاءاتهم، واستطاعوا بعد استيلائهم على الكعبة المقدّسة سنة ٣١٧للهجرة، نقل الحجر الأسود من الكعبة إلى مسجد الكوفة ووضعوه في مقام إبراهيم (عليه السلام) ودعوا الناس للحج إلى مسجد الكوفة بدلاً من مكة، وبقي الحجر الأسعد فيه مدة اثنتين وعشرين سنة إلى أن تمت إعادته إلى الكعبة المشرّفة.

فكانت العتبات المقدسة في العراق ومنها مسجد الكوفة محل اهتمام وتعظيم كبيرين من قبل الدول والحكّام الذين تعاقبوا على حكم العراق، وخاصة منهم البويهيون (٣٢٠ هـ / ٤٤٦ هـ) وسلاطين المغول الذين توارثوا الحكم بعد موت هولاكو، والصفويون وخاصة الشاه إسماعيل الأول، وكذلك فعل السلطان سليمان القانوني العثماني، وأخيراً السلطان الإيراني نادر شاة. فتعرّض المسجد في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي لعدد من الغزوات العنيفة.

ولم يسلم مسجد الكوفة العظيم من هجمات الوهابيين الوحشية إلا أن عشيرة الخزاعل تصدت لهم بكل حزم ولكن بعدها توجهوا إلى النجف والكوفة فقتلوا داخل مسجد الكوفة مجموعة من المعتكفين والمصلين ونهبوا ممتلكاتهم (سليمان، ١٣٦٩هـ ش، ٧١) ثم فيما بعد اعتدى عليه المحتلون البريطانيون فقصفوه بقنابل الطائرات في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨للهجرهـ فقتل الكثير من متعبدي المسجد ونساكه الأبرياء. أمر العالم الديني الكبير الشيخ محمد حسن صاحب «الجواهر» المتوفى سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م، المؤمنين بالإكثار من التردد على مسجدي الكوفة والسهلة جرياً على عادة السلف، وكان يخرج صباح الثلاثاء من كل أسبوع مع حشود من طلبة العلم في النجف وعامة الناس لزيارة المسجدين ويقضون ليلة الأربعاء بمسجد السهلة عملاً بالاستحباب المعروف.

(نقلاً عن http: // www. imamreza .net/arb/imamre)

ولكن رغم ذلك فاليوم ما يزال مسجد الكوفة شامخاً بكل ما فيه، يؤمّه المسلمون من كل حدب وصوب في المناسبات الخاصة والعامة.

٤- مسجد الكوفة والقائم المهدي المنتظر (عج الله تعالى فرجه الشريف)

عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) (قال: إن قائمنا إذا قام يكون حكمه في مسجد الكوفة (المجلسي، ٩٧/ ٣٥٨ ح٢) وقال أبو عبد الله (عليه السلام): كأني أنظر إلى القائم على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرسا أدهم أبلق بين (السابق: ٣٩٠/٥٢ ح ٢١٢) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضا: كأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أصحاب بدر، وهم أصحاب الألوية وهم حكام (كمال الدين، ٦٧١-٦٧٢، ح٢٢) فكما كانت الكوفة ومسجدها موئلاً للشيعة وأتباع أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) سيكون هذا المسجد العظيم منطلقاً لظهور الحجة القائم (عج) وعاصمته ومن هاك يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويفتح الله عليه شرق الأرض ومغربها، وبذلك تكون الكوفة وأهلها أسعد الناس بوجوده.

النتيجة

يعتبر مسجد الكوفة، المسجد الثاني في الإسلام من حيث الأدوار الوعظية التي أداها منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، وتطور عمل هذا الصرح الحضاري المقدس عندما جعل الإمام علي (عليه السلام) الكوفة مركزاً ومقراً لقيادته، وجعل من مسجد الكوفة مقراً للنشاطات العبادية والتربوية والسياسية والعسكرية. فلم يكن هذا المسجد مجرد مركز للعبادة والنشاطات الاجتماعية، بل أنه خلية فكره ومطبخ للقرارات الإستراتيجية ومركز للاستشارات العسكرية للمسلمين. وكانت إسهامات هذا المسجد عبر التاريخ كثيرة ولم تحدد فقط بالجانب العبادي بل شملت قضايا كثيرة ومنها القضايا الاجتماعية والتثقيفية والاقتصادية والسياسية والإدارية والتخطيط والإعلام، والتحرر والعدالة... فأنه ظل طوال هذه العهود مناراً للعلم ومعهداً للدراسة وتحصيل علوم اللغة والدين فصار مشعلاً للهداية والنور، ومبعثاً للازدهار العلمي، وحظي برعاية خاصة من قبل الحكام على مر العصور تعظيماً لشأنه وتقديراً لمكانته في النفوس. فكان هذا المسجد العظيم بمثابة جامعة كبرى تخرج منه الكثرة الكاثرة من العلماء والأدباء والحفاظ والقراء والمشايخ والأبطال والقادة والزعماء عبر التاريخ فساهموا بانجازاتهم العظيمة في دفع عجلة الإسلام نحو الرقي والتنمية والتقدم والتحضر وغير ذلك من الإنجازات الحضارية.

المقترحات

نظرا إلى دور مسجد الكوفة العظيم طيلة التاريخ الإسلامي يُصبح من الضروري القيام بتعريف مكانة هذا الصرح الديني الرفيع في الحضارة الإسلامية. وعلى هذا نقدم المقترحات التالية:

١ - ضرورة قيام دراسة متخصصة تعني بإنجازات مسجد الكوفة بكافة أنواعها وألوانها للوقوف على أهم ملامح هذا الصرح الحضاري العريق.

٢ - أن يتم معرفة جوانب وظائف مسجد الكوفة منذ تأسيسه وعبر الحقب التاريخية التي مرت عليه بواسطة العلماء والأكاديميين في حقول الشريعة واللغة والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس.

٣ - تبين الأدوار التاريخية الكامنة لهذا الصرح المقدس بواسطة الأخصائيين.

٤ - أن يتم تشكيل لجنة علمية متخصصة من أطياف علمية مختلفة لمعرفة الأدوار العظيمة لهذا المسجد عبر العصور والوقوف على مآثر هذا الصرح المقدس في نشر الفكر العلوي وتعزيز مكانة المذهب الشيعي الجعفري.

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما نبتدئ به القرآن الكريم

نهج البلاغة

ابن قتيبة (١٩٦٣): الشعر والشعراء، مصر، القاهرة، دار المعارف.

ابن منظور، (١٩٨٤): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لبنان بيروت.

إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

الأصفهاني، أبو الفرج (١٩٥٥): الأغاني، لبنان، بيروت.

البغدادي، الخطيب (د. ت): تاريخ بغداد، القاهرة، مطبعة السعادة.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (د. ت): فتوح البلدان، القاهرة، دار النهضة المصرية.

الحموي ياقوت (د. ت): معجم البلدان، بيروت، دار صادر.

الدباغ، محمد رضا عباس (٢٠٠٤): سيرة المصطفى، بيروت، دارالمحجة البيضاء

الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن (د. ت): المحدث الفاصل بين الرواي والواعي، بيروت، دار الفكر.

سعد، محمد (د. ت): الطبقات الكبرى، دار التحرير.

سليمان، زهير (١٣٦٩هـ ش): الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية، مجلة التوحيد، العدد٤٨.

السيوطي، عبدالرحمن (١٩٨٣): الاتقان في علوم القرآن، مصر، القاهرة، دارالمعارف.

السيوطي، عبد الرحمن (د. ت): طبقات الحفاظ مطبعة الاستقلال الكبرى.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن بابويه (١٩٨٦): من لا يحضره الفقيه، تصحيح حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطباطبائي (١٣٥٧): الكوفة في التاريخ، مجلة العرفان، المجلد٢٨، الجزء ٨، صص٧٩٧-٨٠١

الطريحي، محمد سعيد (١٣٥٩هـ ش): خزائن الكتب الإسلامية القديمة والكوفة، مجلة المورد، العدد٣٦، ص٢٩٢-٣٠٢.

عبد الحليم محمود، علي (١٩٩١): المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، مصر، دار المنار.

علوان، عبد الله ناصح (١٩٨١): تربية الأولاد في الإسلام، الطبعة الثالثة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، حلب وبيروت.

الكريطي جابر رزاق ورغد سعيد الخفاجي (٢٠١٣): مراكز الحركة الفكرية في بغداد وأوجه نشاطات علماء الجزيرة الفراتية فيها حتى نهاية العصر العباسي، مجلة آداب الكوفة، العدد١٦، ص ٢٧١-٣٠٢.

محمد، حسن (د. ت): جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ط٢، طهران، دار الكتب الإسلامية.

محمد باقر مجلسي (١٣٦٢): بحار الأنوار، طهران: دار الكتب الإسلامية.

محمود، علي عبد الحليم. (د. ت). المسجد وأثرة في المجتمع الإسلامي، القاهرة، دار المعارف.

المزرباني (د. ت): الموشح، القاهرة، دار الكتب المصرية.

المفيد، محمد بن محمد (د. ت): حرب الجمل، إيران، قم، مكتبة دأوري.

هند عبد الله احمد شريف) ٢٠٠٦): المسجد – دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل.

اليعقوبي (د. ت): تاريخ إليعقوبي، لبنان، بيروت، دار الترجمة والنشر.

حسين، محمد الخضر (١٣٩١ق):. الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان. القاهرة.

قطب، سيد. (١٣٩٨هـ). "نحو مجتمع إسلامي". ط٣، بيروت، دار الشروق.

قطب، محمد. (١٣٩٩هـ). "منهج القرآن في التربية"، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الخطاب، شيت محمود. (١٤٠١هـ). "الوسيط في رسالة المسجد العسكرية". علي، سعيد إسماعيلي. (١٩٧٨م). "أصول التربية الإسلامية". القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر.

مؤنس: حسين، (١٤٠١هـ ش ـ). المساجد، مجلة سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

البيومي، محمد رجب (١٤٠٣ة): الحضارة الإسلامية مسجد الكوفة وعبد الله بن مسعود، مجلة الأزهر، العدد٤٢١، الجزء٣، ص (٣١٩-٣٢٤).

محمد بن الحسن، الحر العاملي (١٤٠٣ ق): وسائل الشيعة، طهران، المكتبة الإسلامية

الطبري (١٤٠٨ة. ق): تاريخ الطبرى، بيروت، دار الكتب العلمية.

الوائلي خير الدين (١٤١٤ة. ش): المسجد في الإسلام أحكامه وآدابه وبدعه، الأردن، المكتبة الإسلامية.

الدينوري، أبو حنيفة (١٩٦٠م): الأخبار الطوال، تحـ: عبد المنعم عامر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

حسن، إبراهيم حسن (١٩٦٤م). "تاريخ الإسلام. ج٤، القاهرة، مكتبة النهضة.

❖ ❖ ❖